

درافعة يون

من زمن التوهج



رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

عزيرع

العدد (4562) السنة السابعة عشرة
الخميس (5) كانون الأول 2019
WWW. almadasupplements.com

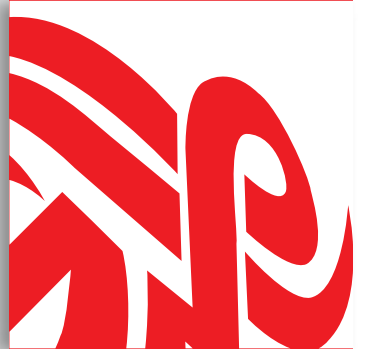
6

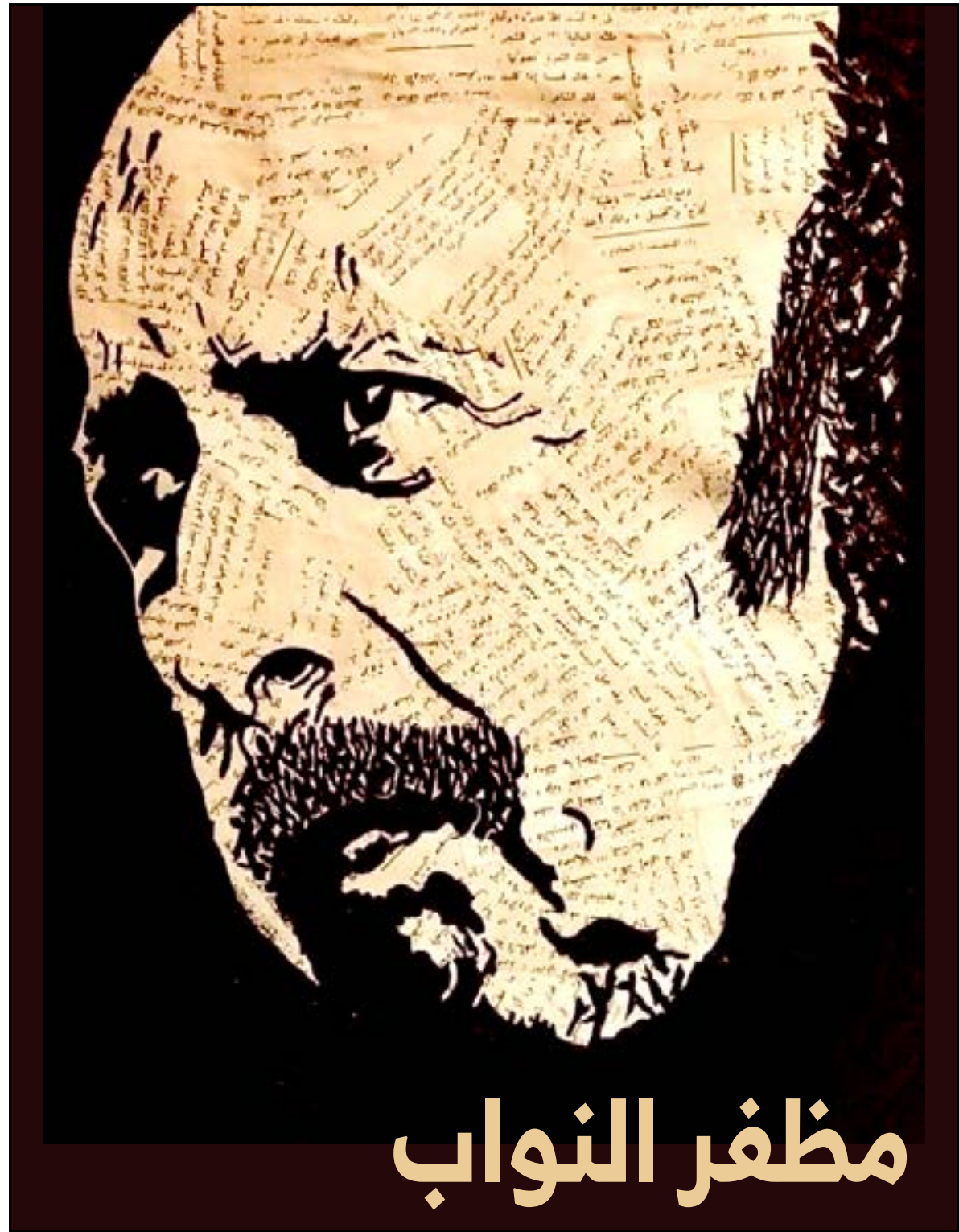
مظفر النّواب..
تأملات وذكريات



مظفر النّواب

شاعر الاحتجاج





مظفر النواب

علي حسن الفوزان

سيدى الشاعر المطاير والحالم مظفر النواب محبة بفيض الشعر وطراوة العراق نحن على يقين أنك تمسك الحياة مثلما يمسك الشاعر حبّات القصيدة ، وان سنوئك البيض تلملم العمر مثل (جكليت) العروس ، تمنحه توهج الروح وارتعاشة الفرح بين الاصابع ، وربما تشعل امامه شموع القديسين الذين يغسلون الحياة عند لحظة الاعتراف ومواسم الهجعة ..

نحن على يقين سيدى الشاعر ، انك تكبر مثل البلاد ، مهما كثر الغزاة عليها ، وانحم العابرون على شوارعها ، وضائق الجادات بمحاربيها ، واختلط الحافر بالحافر ، وكثر الشامتون والشامتون! وانفخ عن مجلسها السّمّار المغشوشون ووعاظ السلاطين ، وهرب عن دواوينها شعراء الاكاذيب واصحاب الرايات والكوبونات ، ففيه تقبض دائما بالانساع والبقاء ، لان الاشياء العظيمة التي تعلمنا انشيدوها واسحارها وحكاياتها واسرار لياليها ودروسها وقصائدها التي جرت في الجسد واوغلت في الروح مثلما هي رعشات عاشقة

العراق ، والمدن العالية ، والمناظر المتوهجة بالادعية ، الامهات الطيبات والمياه التي توغل في البياس والامكنة المكشوفة على اوجاعنا ومراراتنا وسنواتنا الهاربة ، الجواهري الكبير ، ومظفر النواب الباذخ مثل بلاد لاتنزع روحها ، كل هؤلاء سيدى لايشيخون بالحياة والموت ولا تضيق بهم السبيل والمنافي مهما اتسعت !! ولاينوون بحمل السنوات وجروحهم المكشوفة للسكاكين ، لانها تحمل روح كلنامش العراقي ، هذا الرأى رأى كل شيء ففقت بذكره البلاد وعرائس الماء وجنائز المقدس ..نحن على يقين سيدى الشاعر ان قلبك الكبير الذي انكسرت عنده المنافي والمحاسن واوهام الظالمين يرتعش مثل قلب طفل غش !! يبكي من فرط الحزن واللوعة ، لكنه يتسع ويتشهى وينوح مثل قصيدة طازجة تعرّس اصابعها كالحسنات وبالحناء ، تمدّها طاعة في فضاء الغبار:تنوش منه ماتستاف به الروح شوقا وتكثرا وانشدادا ... قلبك المتوثب ياسيدى ،، الصائت والمسكوت والمسكون بالحلم الغبراء والعشاق ،مزال يتشاطرك نغيب الشعر وحرائق الاحتجاج ولذة الانصات الى الوطن وهو يهمس لحبيبتة غز لا حارا مثل غزل الليالي العراقيات !!وربما يمسح بين يديك عن وجهها غبار الحروب

ويرش على وجوههم ماء الورد ، يمنحهم صحوه المكان مثلما يمنحهم صحوه البقاء والنبات ...يحضر (صويحب) المدجج بذاكرة القوة وفضاحة الموقف الابيض دون دغش او غوايات ، ، ويحضر (حجام الرئيس) بكل قلقه النبيل يتعالى على عسس الليل وعسس الفكر ، يفترش وطننا يحاول ان يصحو ، يحاول ان يمسك الحلم ، يحلم ان يحفظ عش الطيور وعش الامل ،،،وطنا يطرد القبح ويطرد الرملين الذي ملؤوا حياتنا شحوبا وعطشا وضلالة ...ويحضر ايضا (المعلم) الاينق من متوسطة (الكميت) في الكاظمية ليفرش دروسه في النحو والبلاغة والصوت ،وليقّل لطلابه ،هكذا نتكشف العالم وكروية الارض وكروية الفكرة ..سيدى الشاعر ..لا اعتقد انك واحد عابر في ذاكرتنا ؛ أو محارب علقت خطواته عند الجنوب واهواره او عند سجون المدن الداخنة بابانها ، ، المحاربون القدامى والجند سيركيون البنائق على اكتافهم حين تأتي !! فلا اظن ان احدا يخون ذاكرته ويرمى جرحا على تاريخ مدننا واهوارنا وشواظ حنيننا ورومانسيتنا ولوعاتنا النبيلة ، ولعلك ياسيدى المحارب اكثر اسمائنا ضجيجا وحياء وانت تمارس وجع التذكر ووجع الانصات الى ذاكرة المدن والامكنة وهي تسيل مثل جرح مفتوح !! ياسيدى نحن بحاجة الى صوتك الفائز فينا لكي نتلمس جروحنا التي لم تندمل بعد ، ولكي نعاود الجلوس الى مواقف السلام المباح ،وقبض الفكرة وهي تصحو مثل نائير نام على مخدة من ماء ، ، نحن بحاجة حقا الى لحظة نوابية عاصفة ،مثلما احتاج اللبائيون الى لحظة فيروزية حين حاصرت الحرب من الجهات الخمس وقاتل الامل بعضهم بعض !!العراقيون يبحثون عن شعراء بامتياز المصلحين !!! يبحثون عن شعراء بامتياز الاباء ،،فقد اكلت حروب الهويات والشوارع والسيارات نصف احلامنا ، تزكت او لانا عند احلامهم القديمة يبحثون عن ابطال المثولوجيات ،انهم يرشون السماء والمخدرات واحضان الامهات بالامنيات؟ فكيف لا نبعث عن يقظة يانعة؟ وعن اسماء تفرش ذاكرتنا بالاطمئنان ؟ .

ولعلني هنا يا سيدى الشاعر استمبحك المحبة بالدعوة مع كل شعراء الدنيا لكي نطلق عصافير السلام للعراق ، هذا العراق الذي اخذته حروب الاباطرة الى الاف اليتيمات ، نزعّت ثيابه وعرائش حكمته ، وثياب ملوكه ، نفرش لك ارض العراق بمحبتنا ، ندعوك الى بيتك البهي ، لتعمره بالشعر والحكايات ،ولتغسله مثل سنوئك بالماء الزلال من برائن البغاة والغلاة ...فعرافك رغم كل المحن ورغم كل الخرابات المصنوعة مازال عصيا وبهايا ،ومازالت قلوب محبيه ومريديه عامرة بايمان الفكرة ، وعظيم الشكسية ، وارتعاشة العشق ، ينتظرون فجرا للملوا لضوئه (الصينيات) والهلال منذ زمانات بعيدة ، ربما يتأخر كعادته مثل هلال الفرح ، لكنه يأتي ويفرش ضوعه للابناء الطيبين الذين مازلوا هم كما عرفتهم منذ سنوات الاسى والركض على الجمر ...سيدى الشاعر.. احوالك وابتاؤك الالباء في عراقك الجميل ورغم كل يوميات الفخاخ وحروب الطوائف ورغم كل ما يقال عنهم !! من غش القول وعطالة توهج الشاعر واحتجاج المناضل ،وصفاء المتأمل الذي يحلم بوطن/بيت/شارع/مدينة يتشع بالبياض ، ويفرش امكنته وحدائقه واغفائه واحضانه لصانعي الهجعة والسعادات النبيلة ،مثلما عودتنا ان تحضر ايها النواب الصاخب والساخط على الكراهية والخنوع ومشعلى الحرائق وقاتلى الالبناء والعاطلين عند الجمال واللذة والاحلام

نعم ايها الشاعر الابهي ... لقد اوضحت قصائدك تاريخا يمشي بيننا ، ومناشير لم تعد سريعة نفيض برصارة الموقف وقوة الفكرة وسمو العبرة ، تعلم الالبناء ان الطريق الى الحياة هو الطريق الى العراق دائما ، العراق الذي نعرف ونعشق ونبكي !!!! يهبط بيننا (حمد) عن (ريله) القديم ، يفزّز النائمين

مظفر النواب.. قصيدة "للريل وحمد"

ريسان الخزعلي

(١)

.. كُتبت قصيدة /للريل وحمد/ بين عامي ١٩٥٦ – ١٩٥٨ ، ونشرت في السنينيات في مجلة المثقف العراقية. وقد لفتت الانتباه بقوة حال نشرها ، وذاع صيتها في العراق ، واصبحت في تداول الأوساط الثقافية والاجتماعية شفاهياً وتحريراً حتى يومنا هذا ، وتجذرت اكثر في تلقينا بعد ان حولت الى اغنية .

(٢)

.. القصيدة تقوم على التماهي مع تجربة حب حقيقية ، كان الشاعر طرفاً في الاستماع الى البعض تفاصيلها في رحلة القطار المنزل الى البصرة ، حيث جمعته المصادفة مع امرأة ، تجلس على مقربة منه في العربة نفسها (الفاركون) من القطار ، واستطاع بفراصة النابه ان يتلمس حزنها ويفك اساريه ، واستمع الى قصة الهجر التي تعرضت لها تلك المرأة مع حبيبها الساكن في (منطقة/ قرية) أبو شامات



الواقعة على مقربة من سكة القطار . تفاعل الشاعر مع القصة بحساسية انسانية/ شعرية عالية وتمثل التجربة. وجعلها تجربته، رغم ان المرأة هي المتحدثة في القصيدة عن تجربتها الى القطار في معظم المقاطع؟ إلا ان ذلك بنطاق مفاتن الجسد وما يزينه (الشعر ، لم يجعل الحوار بينه و المرأة ، ولو حصل مثل هذا الافتراض لآلت القصيدة الى غير ما آلت اليه. فنيا . إن قصيدة للريل وحمد قصيدة تجربة واقعية ، تجربة واقعية بالنسبة للمرأة والشاعر هو المتحدث ابداعياً ، وبمهارة ، بحيث لم يجعل الحوار بينه و المرأة ، ولو حصل مثل هذا الافتراض لآلت القصيدة الى غير ما آلت اليه. فنيا . إن قصيدة للريل وحمد قصيدة تجربة واقعية ، تجربة واقعية بالنسبة للمرأة والشاعر هو المتحدث ابداعياً ، ولذلك غاب عنها التجريد ، وشغّت بالتشخيص المصوّر .

(٣)

.. تجربة واقعية ، على مقربة من موهبة وثقافة وإحساس انساني مرفه ، وإنصات دقيق ، كانت قصيدة للريل وحمد تتقدم بثياب جديدة ، وعطر جديد ، ومصافحات جديدة .

(٤)

.. أين تكمن سرية التجديد في هذه القصيدة الشاعلة؟ بعد ان تضحّت سرية تجربتها؟ أ – القصيدة مكتوبة بالشكل المقطعي ، ويتشكيل رباعي في كل مقطع ، وهو شكل مألوف في الشعر الشعبي العراقي . ب – القصيدة تعتمد – في بنائها الموسيقي الشعري – البجر البسيط وتحولاته التفعيلية مع بعض الحيوات ، وهو بحر كُتب فيه الكثير من الشعر الشعبي . ج – القصيدة تعتمد تكرار البيت الرابع كلازمة في نهاية كل مقطع ، وهو اسلوب معتمد في الشعر الشعبي العراقي .

د – اسلوب المناداة ، وفي القصيدة كان النداء /يا ريل/، وهو اسلوب ليس بجديد .

(٥)

.. ان البراعة الفنية/ النوابية .. قد جاءت بالجديد الآتي : أ – الجديد اللغوي وطريقة استتمار الطاقة الايحائية في المفردات وتوشجها الخفي مع الصوت واللون والحركة

والشم . ب – توليف التشكيل اللغوي مع حالة الحزن وصبابات العشق ، ومرارة الهجران . ج – المشاغلة الجسدية/ الجنسية الدافقة ، ايحائياً وصورياً ، وهي مشاغلة غير فاضحة ، وذلك بنطاق مفاتن الجسد وما يزينه (الشعر ، النهذ ، الكذلة ، العيون ، الليرة ، خزامة ، شامة) ، اضافة الى الهمس الجنسي الخفي : .. حذر السنابل كطه .

.. ما ونسونه . .. ما يطفه عطابي . .. اتلجج للبره . .. امشله إشليله . .. كضبة دفو يا نهذ ، للملك برد الصبح . .. نهودي زمن .

د – براعة استخدام النداء ب/يا ريل/ الذي جاء بطريقة هندسية دقيقة لا تثير الملل ، كونه لا يثبت في موقع واحد من المقطع :

ففي سبعة مقاطع ، يكون النداء في بداية البيت الشعري الثالث ، وفي مقطع واحد يكون في بداية البيت الشعري الاول ، وفي مقطع واحد يكون في بداية البيت الشعري الثاني ، في حين خلا مقطع واحد من النداء . ان النداء عندما يكون في البيت الثالث ، فإنه يجيء بعد التوصيف وشرح (الحالة) ، وكأنه محطة تحسر على ما حصل في الوصف ، وثُبت الى الريل ، والشاعر أراد هو الآخر أن ينصت لهذه الاوصاف: قبل أن يخاطب الريل في نداء إستغاثة مشترك ، أما المقاطع الأخرى ، فلا وجود لوصف حالة ، وإنما كل النداء الى الريل .

هـ – براعة التنويع في اسلوب تكرار / اللازمة/..، فبعد أن كثر استخدام /هوندي هو اهم ولك ، حذر السنابل كطه/ وتجنباً للملل ، اخذت هذه اللازمة تنويعات اخرى :

.. يمكن اناعي بحزن منغه .. ويحن الكطه . .. خليهن ايهورن .. حذر الحرار كطه . .. يحول الشعر والهوى الباردي بنيم الكطه .

.. قصيدة /للريل وحمد/ مقطعية البناء كما اسلفت وليست تراكمية التسلسل ، ظهرت



بستعة مقاطع في الطبعة الاولى ، وبشرة مقاطع في الطبعة الثانية . والقصيدة حين يابشر الشاعر بكتابتها ، لم تتكمل على دفعة كتابية واحدة ، وإنما اكتملت على مراحل ، ومثل هذه الطريقة في الكتابة المقطعية ، تجعل القصيدة تقصر او تطول ، وتحتمل الاضافة اللاحقة دون خلل وبخاصة عندما يكون الموضوع ذا زوايا نظر متعددة وشاعره على دراية كافية بالذي يفعله . من هنا جاء حذف المقطع الآتي من الطبعة الاولى ، وتم تثبيته في الطبعة الثانية . وقد ناقشت هذه الملاحظة بتفصيل في مكان آخر من الكتاب .

× أزد أشري جنجل والبس الليل خزامة وارسم بدمع الضحج نجمه وهوو وشامه ويا حلوه بين النجم وياكاه لحزامه وهودر هو اهم ولك .. حذر السنابل كطع ..

وأرى ان هذا المقطع لم يكن على لسان امرأة ، بل كان على لسان الشاعر ، كما ان المقطع الآتي هو الاقرب الى صوت الرجل منه الى المرأة :

.. جن كنتلك .. والشمس .. والهوى شلايل بريس .. والبريسم لك سوه وانري ذهب يا مشط يلخالحك .. إشطوله! بطول الشعر .. والهوى البار .. بنيم الكطه

مع الملاحظة ان الشاعر في الطبعة الاولى كان قد ثُبت البيت الثاني من المقطع اعلاه على الشكل الآتي : .. شلايل بريسم والهوى اله سوله . اي أن (له) أصبحت (لك) .

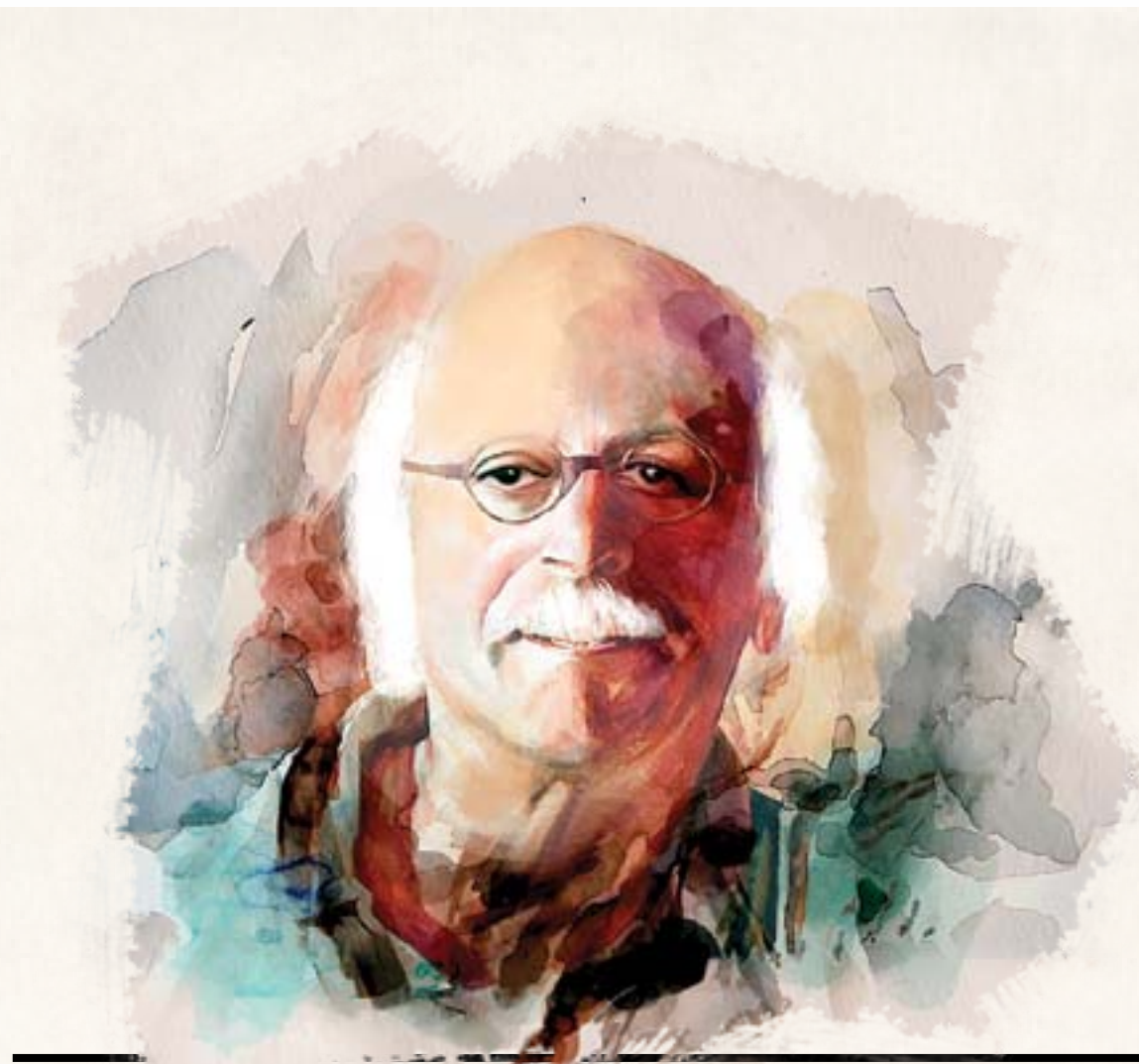
(٦)

.. إستخدم الشاعر مفردتي (الريل والقطار) عشر مرات ، أي بعدد المقاطع ، ورغم تكرار هاتين المفردتين ، الا أنه تكرار العاراف ، التكرار الذي لا يؤشر الارتكاز البنائي المقحم الذي يولد الملل ، وإنما تكرار الانسياب مع حركة الريل الوحيدة ، وتوقفه في محطاته . إن الشاعر في استهلال القصيدة لم يستخدم مفردة الريل ، وإنما استخدم القطار ، وبلغة المرأة الريفية كانت (عطار) ، وكان بإمكانه ان يقول : مريته بيكم حمد .. وإحنه بريل الليل . بدلا عن : مريته بيكم حمد .. وإحنه إبطار الليل .

إلا ان الشائع في التداول كانت التسمية لنوابات القطار : قطار الصبح ، قطار الليل ، ولم تكن التسمية بالريل .

(٧)

قصيدة /للريل وحمد/.. قصيدة التجديد الأول في الشعر الشعبي العراقي ، في الخلاصة النهائية .



الشاعر مظفر النواب

بغداد في مخيلتي أبداً.. تقاوم الإمحاء وكنت أستعيدها في كل لحظة

حوار: علاء المفرجي

في الطريق الى مكان إقامته مع زميلي علي حسين، كنت معبياً بفكرة واحدة تغذيها طبيعة مهنتي، وهي أن أستأثر بحوار مع الشاعر الذي لطالما ملأ الدنيا وشغل الناس بالأسلوب الذي اختاره لحياته، وبشعره الذي تماهى في ملاحم الثورات ونزيف المحرومين.. قيل عنه: (انه من منطقة شعرية محظورة).. خمسة عقود من الرفض والمكاشفة والقصائد المهرية مثل منشور سياسي. مظفر النواب هبط بالشعر من علياء الاولمب إلى حيث مزاج العامة، أولئك الذين وجدوا في شعره انعكاساً لآلامهم.. هو لم يكتف بذلك بل حمل روحه الشعرية على راحتيه وانغمس معهم في الكفاح من اجل خبزهم وحرّيتهم.. إنه التجسيد الحقيقي لمقولة الشاعر والسينمائي الايطالي بيبير بازوليني ((الشاعر الذي لا يخيف من الأفضل له ان يهجر العالم)).. هو إذا الشاعر الذي لم يكن يأمل من شعره الخلود المرتجل، بل بما يمكن لهذا الشعر في ان يكون سلاحاً مثل ما هو أغنية للذين يَمون جباههم شطر الحرية.



في حضرة النواب تلاشت هذه الفكرة، فأمام الحضور الطاعني للشاعر بل أمام تاريخ من الكفاح والشعر، ليس انت من يبادر او يقرر شكل اللقاء. بعد ان قدمت نفسي إليه وزميلي علي حسين شكرني على تحيته في (المدى)، بمناسبة عودته الى بغداد وهو ما شجعتني على أن أبادر بطلب إجراء الحوار معه.. اعترت بسبب حالته الصحية ووعدي بحوار مطول في ما بعد قائلاً، انه بحاجة الى ان يرى العراق لتكتمل الرؤية.. لكنه اقترح ان (نسولف) .. وهذا أيضاً يرضي فضولي.. تواطأ مع خبثي الشاعر كاظم غيلان الذي كان حاضراً وكان اول من التقاه من أصدقائه في بغداد، في ان تقتنص ما سوف (نسولف به) ..

كان من الطبيعي أن يكون مبتدأ الحديث عن بغداد (ديرتة) وهو الذي غادرها شاباً يضح بالعرفون ان، وعاد إليها شيخاً كهلاً يستعين بابن أخيه (ضرغام) الذي سرتني ان النواب انتقض من غفوته في الطائرة ما ان سمع نداء طاقمها معلناً دخول أجواء بغداد ليتطلع من النافذة مستطلعاً ملامح المدينة التي غادرها مرغماً منذ

أكثر من أربعين عاماً. يقول النواب: بغداد مدينة مبدعة، الإبداع ليس للأشخاص، المدن هي المبدعة.. يقاطعه كاظم غيلان ليسأله: بعد أربعين عاماً هل تلاشت صورة بغداد في مخيلتك؟

صممت النواب، وكأنه يبيس للرد على تهمة وليس على سؤال.. يقول: بغداد في مخيلتي أبداً.. لم تتلاش صورتها .. على العكس كانت تقاوم الإمحاء وكنت أنا أستعيدها في كل لحظة على مدى هذه السنين الطويلة، وكأنني لم أفارقها.. بغداد عالم من الجمال، حتى الزوايا المهملة فيها تضح بالجمال، مدينة تمتك ألواناً لا تعرفها من قبل.. لديها طيفها الشمسي الخاص، ألواناً أخرى غير تلك التي يضمها قوس قزح، خذ مثلاً مناظرها الملونة والمشغولة بالقاشان.. أنا زرت أكثر من عاصمة عربية مناظرها جميعها كانت بألوان كابية، لون الإسمنت مثلاً.

يستدرك بعد ان يكفكف دموعه قائلاً: أول قدرة على الخلق كانت هنا، ليس المهم الخلق بل القدرة على الخلق. ربما لهذا السبب

يرى انها يجب ان تقال. يقول النواب:

لقد عاوندي كل ذلك العفوان الذي أعرفه بي، ويعرفه الرعيل الذي عاصر الكفاح من اجل حرية هذا الوطن.. لحظة وصولي التقيت (الأخ ماس جلال)، فبينني وبين هذا الرجل تاريخ من الصداقة والوفاء، استعدت معه سنوات مليئة بالأحداث.. صادفت أطفالاً صغاراً، بسررتهم التي تزيل كل الأوساخ، الطفل العراقي يختلف عن كل أطفال العالم انه عالم من التموجات والجماليات، وجوه الأطفال تنطق بالحياة، سمرتهم أيضاً تنطق يتوقف قليلاً ثم يستأنف قائلاً:

لأنكر لك حادثة عايشتها قبل أكثر من خمسين عاماً عندما تعرض عبد الكريم قاسم رحمه الله الى محاولة اغتيال.. كان الجميع بانتظار المرحوم فاضل عباس المهداوي الذي سيترأس في ما بعد محاكمة المتهمين بهذه المحاولة.. كان المهداوي في حينه في الصين، وحال وصوله الى المطار استقل سيرته الى المستشفى الذي كان يعالج فيه قاسم، وفي الطريق إليه كانت جموع الناس تصرخ.. (جاهم ابو العباس) وكان من بينهم طفل صغير مد يديه داخل السيارة عند وجه المهداوي وصاح:

(جاهم ابو العباس).. فمسك الأخير يده وقبّلها.. يضيف: هذا تاريخ يريدوننا ان ننساه لإرضاء الرجعية.. أي تفكير في مداهمة الرجعية ومحاولة إرضائها سيكون على حساب الشعب كله.

صممت قليلاً ليستعيد قصيدة له، وكأنه يستل وثيقة توثق زمننا وأحداثاً عاشها: بجزامك مفاتيح السوالف وانته تدي ضيعينه الباب والمفتاح

وانته الليل تحجي للسبح سالفة القداح سولف يلحبيب لا يجينه فراك ويبيوك أمس باتوك وتشدوني على أوصافك حرت راويفتم قلبي وقلت يرمه عليه مفتاح يضيف: شعب بهذه المواصفات لا يتكسر، مهما تراكمت عليه الحن، لابد من أن ينتصر.. أنا فخور بأني من شعب حاد كالشيفرة رقيق كما الماء.

يبادره كاظم غيلان بسؤال عن زمين عاشهما، زمن مغادرته الوطن وزمن عودته بعد عقود من الغربة والنفي القسري.

يقول النواب: غادرت العراق بعد مقابلتين مع (صدام حسين)، استغرقت الأولى عشر دقائق والثانية ساعة ونصف الساعة.. أعلم جيداً ان هذا اللقاء كان موثقاً، لكن يبدو انه فقد مثلما فقدت الكثير من الوثائق المهمة بسبب انقلاب الأوضاع بعد سقوط الدكتاتورية.

يضيف: في المطار كان هناك اهلي وبعض من أصدقائي لوداعي.. ما زالت تلك الصورة واضحة في مخيلتي.. وبعد كل هذه السنين من الغربة عن الوطن، لم يكن ما يخيفني من العودة هو السياسة او الصراعات، بل ان أجد كتلاً من الفراغ بدل الناس الذين فارقتهم لحظة وداعي.. أفسى ما يعانينه الشاعر أو الكاتب بشكل عام هو الفراغ، الإحساس بالفراغ.. أشعر الآن وبعد يومين من عودتي بأنهم أحياء.. أنا بحاجة إلى أيام أخرى لاكتشف طبيعة هذين الزمنين.

يسأل (علي حسين) إن كان النواب يرى بالانتفاضات العربية المتلاحقة تحقيفاً لبنوعته؟ يعترض النواب قائلاً: إنها نبوءة الشعوب العربية كلها.. الماء الراكد لم يعد راكداً، نحن إزاء عصر جديد له دماء وضحايا وطريق يفضي الى الحرية.. انه زمن العنف الثوري ليس العنف بمعناه الدموي الذي



أنا ابن نخبك يا عراق وليس ذي أمل لكيل بغداد، ابن محلاتها الشعبية، من درايينها، من دكاكينها.. يستدرك قائلاً لي: انتبه كيف هو لفظ الضمير الغائب (هه) وليس (ها)، قالها بالعامية.

يروج له أعداء الحياة الآن بل هو أكثر إنسانية من أي شيء آخر. كتب النواب شعره الفصيح الذي تجلت عنه نبرة الغضب والاحتجاج، لكنه أيضاً كتب بالعامية

العراقية، الجنوبية تحديداً لحساسيتها وشجنها العميق.. ليس هناك من يختلف على ان (الريل وحمد) المكتوبة بالعامية كانت معينه للانطلاق في شهرة شعره الفصيح.. (الريل وحمد) التي يقول عنها انه عاش سنين طويلة على مردودها المادي في وقت كان البعض يغمز كيف للنواب ان يتدبر معيشته.

يقول النواب (البعض يقول انه يتدبرها من منح بعض الأنظمة.. أنا أبيض على هذه الأنظمة).. قال مرة، انه في الفصحى ينحت بالصخر وفي العامية يشتغل على الطين. أقول له: كنا صغاراً نتسلق السدرة التي عند جدار بيتكم في كراة مريم بالكرخ لنحظى برؤية آلة البيانو:

بينسم، هذا صحيح أنا ابن الكرخ في بغداد، أساله مرة أخرى كيف تمكنت إذا من العامية بلهجة أهل الجنوب لتتنظم بها أجمل قصائدك؟

يقول النواب: كثيراً ما سلكت هذا السؤال، لكن دعني أقول لك: اللهجة العامية تماماً مثل امرأة منحنتي هي نفسها ومكنتني منها.. المرأة لا تستطيع ان تعشقها دون ان تمكثك منها.. العامية سلسلة مطواعة، لا تستعصي على النحت والاشتقاق منها.. الصورة عنها أجمل وأكثر وضوحاً.. ربما لا يعرف الكثير إنني لست من الجنوب ولم أسكن الجنوب.. ذهبت منتصف الخمسينات إلى العمارة عن طريق الكحلاء، حيث عشائر (البو محمد والشموس، منهم (محمد الشموس) الذي كتبت عنه قصيدة أعترّ بها.

عشت بالاهوار لمدة أسبوع، هناك عشقت لهجتهم وتملكتني.. هناك الصورة ماثية.. كل شيء فيه ماء.. بدأت مع الشعر بالعامية وكأني من أهلها.

أسأله إن كان الشعر العامي بالنسبة له قد استنفذ أغراضه؟



يقول النواب: يساورني شعور غريب ان الشعر العامي أدى مهمته العظيمة، ونحن على أبواب مرحلة جديدة في الشعر العامي، ربما ستظهر إرهاباتها الآن.

كتبت في الفترة الأخيرة عدداً من القصائد، لكن العائق كان مرضي (باركنسون).. أصبحت أكتب سطرًا ويضع الثاني على المعنى، هذا من خصائص هذا المرض، وحتى أتغلب عليه بدأت بكتابة قصائد قصيرة، أكتف أقصي ما أستطيع، أكتب وأحفظ، أضع البناء الكامل للقصيدة حتى أحفظها، إليك منها:

مثل تاطر بالجبايش يبجي قلبي
أو قصيدة (خولة العصفور).. انها مثل خولة رابعة العدوية ولقائهما بمعشوقها الخالق، المبدع هنا أتحدث عن الهور وعصفور بين أعواد القصب..

أسمع خولة العصفور جنة ريشة ونقطة نور
عدد من القصائد القصيرة ربما ستنتشر لاحقاً. من غير سؤال يتحدث الشاعر الكبير عن شاعره المفضل (أبو صخر الهذلي)، ولكن لماذا هذا الشاعر الأموي الذي نذر شعره وحياته لبنى مروان متعصبا لهم- أتساءل-

يقول النواب: الهذلي هو أبرز وأهم شاعر في تاريخ العربية.. ثم يسترسل في قراءة رأيته المشهورة معقبا على بعض أبياتها:

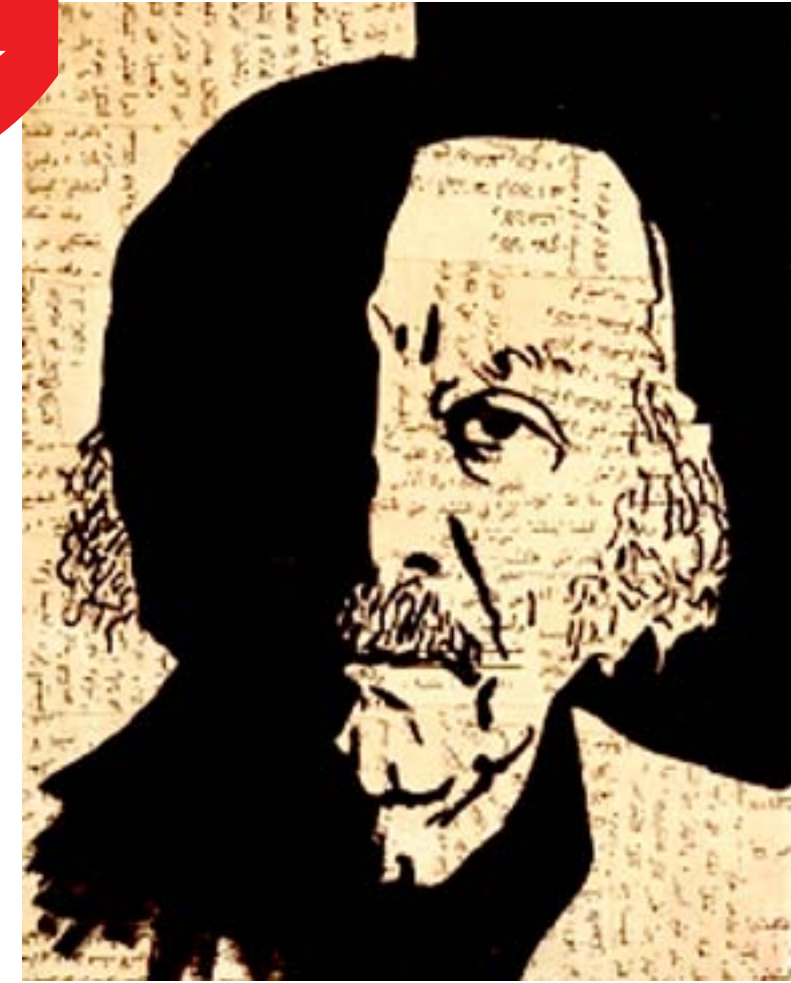
أما والذي أبكى واضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر يعقب: هذه ليست صورة هذه موسيقى تسمع.. المتنبى أيضاً كان كذلك.

وإني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر يعقب، بينما أقاطعه، محاو لا أستعاض مهارتي في حفظ رائية الهذلي كما قرأتها في حماسة أبي تمام.. فأقرأ نفضة بدل هزة.. يعترض قائلاً الاصح هزة لأن بها ارتجاف.. بها موسيقى.

ثم يسترسل بقراءة الرائية قائلاً: بعده البيت الذي يعجز كل السرياليين بالعالم عن الوصول إليه تكاد يدي تندى إذا ما لمستها وينبت في أظرافها الورق النضر يعقب: في البيت التالي يسكت الشاعر.. والشاعر الجيد هو الذي يعرف متى يسكت: عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر يعقب: انه الصمت: السكن المخيف

مظفر النواب

تأملات وذكريات



"كُلُّ الْأَشْيَاءِ رَضِيْتُ سِوَى الدُّلِّ،
وَأَنْ يُوضَعَ قَلْبِي فِي قَفْصِ، فِي
بَيْتِ السُّلْطَانِ".

الحبُّ والنضال الثوري، توأمان في شعر مظفر النواب، بينما همَّ الحرية والعدالة والجمال، هو الأسمى والاقوى في كل ما سطره من قصائد رائعة ونضال سياسي ومواقف وطنية وأممية، وما قاساه من سجون واضطهاد وحياة زاهدة وغربة وحرمان، هذا الشاعر الرائد والفنان الكبير الذي يندر إن نجح مبدع كبير واحد أن يجمع كل ما جمعه من مواهب أصيلة وطاقت متنوعة.

د. حسين العنداوي

جم، وكل ذلك الى جانب تاريخ صمود سياسي وثوري يكد يكون تاريخ شعبه العراقي كله للنصف الثاني من القرن العشرين على الأقل. قصيدته البكر للريل وحمد، التي نشرتها مجلة "الثقف" في ١٩٥٦، وغدت على كل لسان منذئذ والى الآن، كانت أول إعلان عن عبقرية الشعرية بالعامية العراقية التي، وعبر نصوص شعرية لم تعد تحصى، أبدعت سلفا ما يشبه ملحمة وجدانية وإنسانية فريدة بذاتها سواء لصديق وشفاافية العاطفة وشجاعة الموقف السياسي والإنساني أو لجمالية الصورة الشعرية وكذلك الغنائية الموسقة الواعية المنقطعة عن التقليد والرتابة والحداء.

ومظفر النواب بلا ريب الرائد الأهم وقطعاً الأول، وأكاد أقول الأجلل الى الآن، لحركة التجديد في شعر اللغة العامية العراقي الحديث، وهي موجة انبثقت بتأثير حركة الشعر العربي الحديث لجبل الرواد وخاصة قصائد بلند الحيدري ويذر شاكر السياب وحسين مردان كما استفادت من تيار الرسم العراقي الحديث لجواد سليم وفائق حسن

وحافظ الروبي وموسيقى سلمان شكر وجميل بشير وهي بالتالي لا تمثل امتداداً للشعر الشعبي المكتوب باللغة العامية الريفية لجنوبي العراق أو وسطه برغم أن مظفر النواب استفاد منه استفادة قصوى من هذا الشعر وانتقى منه مئات المعاني الروحية والشعرية والتعبيرات والمفردات والحركات والصور والتشكيلات بمهارة وشغف مذهلين مع بقائه بغدادي الروح والأسلوب والنزوات وبقاء شعره الشعبي شعراً مدينياً في الجوهر برغم انه مكتوب بلغة وأجواء جنوبية ما يجعله أقرب الى روحية أبناء المدن وبينهم انتشر بشكل خاص (لا سيما فئات المثقفين واليساريين والطلاب والمهاجرين من محافظات جنوبية الى العاصمة) أكثر من انتشاره بين أبناء الريف أو العشائر أو الفلاحين أو سكان الأوارو رغم انه يمجّد معانائهم وخلقاتهم وتعبيرات عشقهم وإبائهم ونضالهم بصديقٍ وحبٍ أعظم تجديدي في واقع الحال. وتمثل السنوات العشر ما بين ١٩٥٨ و١٩٦٨، الفترة الأخصب ربما في الانتاج الشعري

وتصميمه والتزامه الصادق في المعتقد، ما انعكس في كل ما قاله في قصائده، بالعربية الفصحى، في مهاجمة جميع أصحاب السلطة العرب دون استثناء، كما في قصائده بالعامية العراقية، وخاصة في موضوعات الحب، التي توحى بأصالة في الموقف، لا بوقفة مسرحية مفتعلة.

ثقافته الفراهيدية مدهشة وأساسية في منجزه الشعري ولم يتوقف عن تطويرها وأغنائها على الدوام. فابن بغداد هذا المذهل في سعيه المبكر لامتلاك أجمل وأعمق ما في العامية العراقية، لا سيما الجنوبية السومرية الإعماق، من معانٍ ومفردات وإيحاءات روحية وجسدية وأنغام، يستفيد بشكل مدهش أيضاً من كل ما تعلمه في الدراسة الجامعية من تفعيلات وبحور وأوزان خليلية وجناس وطباق بل أن كل شعر مظفر النواب باللغة العامية يبدو في اللغة الفصحى ملتزماً بدقة بكل أصولها وبالعرض الخليلية أيضاً على أنه جعلها تتخفى وراء المتدارك والخبب خاصة دون تصنع وادعاء كما لم يترك لها حرية التسلط عليه في أي شكل مغريا ايها، وكل اللغة، بالتعبية له دون شرط وخوف، وجاعلا القافية تنواري طوعاً وبكبرياء وراء الشجون والعواطف الأكثر حميمية، فيما الزمن يتماهى مع المكان، مع الهور، صانعا تاريخاً جديداً للقصيدة الموعلة في التاريخ غالباً، زاجاً القيم العروضية الكلاسيكية في تحديات الموسيقى الحديثة لا العراقية والعربية فقط بل الكونية أيضاً منذ تأثره بأول اوبرا موسيقية سمعها في كلية الآداب ببغداد عام ١٩٥٢، وكانت أوبرا Othello (أثيلو) للموسيقار الإيطالي الكبير جوسيبى فيردى التي تركت سحرها عليه لاحقاً حتى في طريقة القاء الشعر. فقد أحب مظفر فيردى بشكل خاص، وأتذكر انه وظف نوتات موسيقية له وكذلك لبتروفن في عدة اناشيد وطنية ألف كلماتها بنفسه خلال وجوده في السجن او زيارته لنا في جبال كردستان عام ١٩٧٣، وقد انشدناها احياناً معه في بعض المناسبات.

العراق هو النبع واليوصلة ثمة أصالة وثناء وطاقة فائقة في قصائد الشاعر العراقي الكبير مظفر النواب الذي يستلهم اعلى منجزات الشعر العربي الكلاسيكي في أرفع تجلياتها، ويتماهى مع الروح العراقية في أرق تسامياتها وانتصاراتها وانكساراتها العظيمة، وينهل من التراث الفكري والسياسي والأدبي والشعبي لعوالم عربية وشرقية بأسرها ولبلاد الرافدين خاصة من جهة، والمنتمى بقوة وصدق الى الفكر الاشتراكي والتقدمي والإنساني والمنخرط بجرأة في حركة شعبه الثورية منذ خيوط شمس حياته الأولى وحتى الرسق الأخير، والنزاع الى التجديد وحتى المغامرة جمالياً ولغوياً وفنياً وفكرياً، والمعالي على الرتابة والتعصب والتحزب والجمود والجاه والمال. وهذا او بعضه ما اكتشفه وعرفه كثيرون مثلنا مبكراً وعن كتب لديه.

لكن ثنائى الحرية والحب هو الخيط المرشد والحد الفاصل والمفتاح لدى هذا الشاعر. اما الوطن، فهو القلب والنضن وبوصلة البواصل والجرح المفتوح الذي لا يضاويه جرح في اعماق هذه الملحمة الإنسانية البديعة، ملحمة شاعر "الريل وحمد" و"تريبات ليلية" و"المساوره امام الباب الثاني" و"حجاء البريسم" وعشرات النصوص الطويلة والنادرة الأخرى المنشورة وغير المنشورة. فشعر مظفر النواب، في تصورنا الخاص

والراهن، سيل من مشاعر انسانية جياشة ومتسامية تنتمي الى عالم محدد وخاص حتى لغوياً ربما.. بيد انها تظل مدهلة في قدرتها الفريدة على مواصلة التحرك بيننا، وحتى فينا، وكل يوم أحياناً، رغم ثقل الأزمنة وتناثي جسد وحتى روح عالمها الأصلي. وعلى العموم، يندر بيننا من لم يتمايل ببهجة مع "مريته بيكم حمد" او "روحي" او "البنفسج" او لم يستذكر قصيدة "البراءة" او "سعود" او "القدس عروس عربوكم" حبال لحظات خيبة، وما أكثرها، في حياتنا العاطفية او السياسية والمتراكمة مع مرور الأيام. او لم يتقاطع مع تجربة هذا الشاعر في لحظة او أخرى عبر سجن أو وقفة أو قصيدة أو لوحة أو فرحة أو بكاء قلب. وهذا منذ منتصف القرن العشرين ولحد الآن في الأقل.

وهي فترة طويلة عرفنا خلال عقودها منه مباشرة في الغالب، او من هذا وذاك احياناً، وتدرجياً، ان مظفر عبد المجيد النواب ولد في كرخ ببغداد عام ١٩٣٤ واكمل دراسته الجامعية في كلية أدابها، ثم عمل مدرساً فمفتشاً فنياً ثم مدرسا من جديد في متوسطات عدة في المسيب والكاظمية وبغداد، وانه انتمى الى الحركة الثورية واضطر على الفرار من بلاده متسللاً الى ايران متجهاً الى الاتحاد السوفييتي السابق بعد سقوط بلاده تحت قبضة زمرة من الحثالات والقتلة اثر انقلاب ٨ شباط الدموي عام ١٩٦٣ الذي نظمته الاستخبارات المركزية الامريكية والبريطانية في العراق، إلا ان الجندرية الإيرانية قبضت عليه في كمين في شمال ايران قرب الحدود السوفيتية ونقلته الى معتقل "باغ مهراڻ" في التلال المحيطة بمهران واخضعتة الى تحقيق وتعذيب نفسي وجسدي قبل ان تسلمه مخفورا إلى سلطة



ثقافته الفراهيدية مدهشة

وأساسية في منجزه الشعري ولم يتوقف عن تطويرها وأغنائها على الدوام. فابن بغداد هذا المذهل في سعيه المبكر لامتلاك أجمل وأعمق ما في العامية العراقية، لا سيما الجنوبية السومرية الإعماق، من معانٍ ومفردات وإيحاءات روحية وجسدية وأنغام..



بغداد قبل ايام من انتهاء تلك السنة في اطار صفقة قامت السلطتان الإيرانية والعراقية بموجبها باستبدال ١٢١ مناضلاً من أعضاء الحزب الشيوعي العراقي كانوا معتقلين لديها بـ ٥٦ مناضلاً إيرانياً من أعضاء حزب توده كانوا في المعتقلات العراقية منذ الاطاحة من قبل الاستخبارات المركزية الامريكية والبريطانية بحكومة الدكتور مصدق في إيران عام ١٩٥٣.

وفي ١٩٦٤، وبعد فترات من الإقامة القاسية في سجون في البصرة والعمارة وبغداد، احيل مظفر النواب الى المجلس العرفي الذي حكم عليه بعد محاكمة صورية زائفة، بالسجن لفترة عشرين سنة امضى بعضها في القاعة رقم عشرة من سجن "تقرة السلطان" الصحراوي واخرى في القاوش رقم أربعة من سجن "الحلة" الذي سرعان ما فر منه مع رفاقه في نهاية تشرين الثاني من عام ١٩٦٧ عبر نفق حفروه بأدوات المطبخ، فنقلهم إلى عالم الحرية في عملية جريئة اثارت دهول السلطة وفرح الشعب العراقي وافتخاره، وسمحت لمظفر النواب بالتسلسل إلى أهوار الجنوب ثم الى بغداد ومنها الى لبنان في ١٩٦٩ منتهراً فرصة عفو سياسي لم يلبث إلا بضعة أيام منحه الحرية لكنه فتح عليه ابواب التشرد والغربة الى الآن رغم عودة خاطفة الى بلاده في ربيع ٢٠١١. تكاد ان تكون لحظة عناق ووداع لكل تلك الرموز الكونية التي استبطنها الشاعر الكبير في روحه على انها العراق..

وتلك الرموز، وتحديداً الارض والشمس والناس البسطاء والشعر، هي ما كان يبحث عنه هذا الشاعر الوفي لشعبه ووطنه خلال زيارة امضى ايامها طائفاً منتقلاً بين شوارع المتنبي وأبي نؤاس والكاظمية والإعظمية والثورة والشعلة وجسر الشهداء، وبين مقهى الشاهيندر و«اتحاد الأدباء والكتّاب» معلناً من منصة الأخير: «وجودي في هذا المبنى أشرف من وجودي في أي مكان آخر في الدول العربية التي مكثت فيها» بعد أن كان قد رفض المجيء الى بلاده سواء في ظل السلطة الغاشية البعثية المدمرة او في ظل الإحتلال الأمريكي الغاشم، او المجيء من بوابة غير بغداد التي دخلها كموطن بسيط وكمسافر بسيط، رافضاً نظام المحاصصات الطائفية والحزبية رفضاً قاطعاً، وزاهدا مستكبراً على كل المغريات التي ترامت امام قدميه من رواتب ومكاسب وإقامة غناء وحفلات استقبال رسمية، مقتصرًا على تلك التي جمعتنا به او جمعت مراراً مع نخبة من قدامى رفاق السجن والمنافي والاصدقاء. وكما يخبرنا الشاعر كاظم غيلان الذي رافقه خلال بعض جولاته تلك ببغداد، كان المشهد الوحيد الذي جعل دموع مظفر النواب تنههر، هو نهر دجلة حين أطل عليه من نافذة السيارة بينما كان يبحث في بغداد عن بيت للعائلة في منطقة كردة مريم، حيث قضى ليلته الأخيرة قبل المنفى، ليفاجأ بأنه تحوّل إلى حديقة عامّة.

وهكذا، وطوال تلك العقود المليئة بالانكسارات والخيبات التي لم تعد تحصى، والإعياء القليلة والمعطفات الدائمة، لم يكف هذا الشاعر من الحضور بشكل او آخر في هومنا الوجدانية او السياسية او كليهما، وغيرهما أيضاً بين أونة واخرى متقاربة او متباعدة حسب الحال وبشكل حميم غالباً، لا سيما بين العراقيين في الخارج وحيثما انتشروا على أرض الله الواسعة التي بعثرتنا الغربية والمنافي فوقها والغربة جمعت قلوبنا طويلاً على حب العراق.

عراقيون

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

عزى لير

رئيس التحرير التنفيذي

علي حسين

سكرتير التحرير

رفعة عبد الرزاق



الإخراج الفني: حيدر الكواز

طبعت بمطابع مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

WWW. almadasupplements.com

في ساحة التحرير

مظفر النواب



يا وحشة الطرقات
لا خبر يجيء من العراق
ولا نديم يُسكر الليل الطويل
مضت السنين بدون معنى
يا ضياعي
تعصف الصحرا وقد ضل الدليل
لم يبق لي من صحب قافلتي سوى ظلي
وأخشى أن يفارقني
وإن بقي القليل
هل كان عدلٌ أن يطول بي السرى
وتظلُّ تنأى أيها الوطن الرحيل
كأن قصدي المستحيل
نفثت بي الأحزان كل سمومها
فرفعت رأسي للسماء صلابة
ورسمت رغم السم
من عودي لها ظلاً ظليل
وتحاول الأيام
مما جرعتني اليأس
ثم هضمته أملاً
تضاعف جرعتي
فأضاعف الصبر الجميل
إني أرى يوم انتصار الناس
رغم صعوبة الرؤيا
وأسمع من هتافي في الشوارع
سيما في ساحة التحرير
نخبك يا عراق



عراقيون

